

صيد الخاطر

312 - - فصل : أكثر الزاد فإن السفر طويل .

ما رأيت أكثر أذى للمؤمن من مخالطة من لا يصلح فإن الطبع يسرق .

فإن لم يتشبه بهم و لم يسرق منهم فتر عن عمله .

فإن رؤية الدنيا تحت على طلبها و قد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم سترًا على بابه فهتكه و قال [مالي و للدنيا] و لبس ثوبا له طراز فرماه و قال : [شغلتنى أعلامه] و لبس خاتما ثم رماه و قال : [نظرت إليكم و نظرت إليه] .

و كذلك رؤية أرباب الدنيا و دورهم و أحوالهم خصوصا لمن له نفس تطلب الرفعة .

و كذا سماع الأغاني و مخالطة الصوفية الذين لا نظر لهم اليوم إلا في لرزق الحاصل .

لو كان من أي مكان قبلوه و لا يتورعون أن يأخذوا من طالم و ليس عندهم خوف كما كان أوائلهم .

فقد كان سري السقطي يبكي طول الليل و كان يبالغ في الورع و هم ليس لهم ورع سري و لا لهم تعبد الجنيد .

و إنما ثم أكل و رقص و بطالة و سماع أغاني من المردان حتى قال بعض من يعتبر قوله : حضرت مع رجل كبير يومئذ إليه من مشايخ الربط و مغنيهم أمرد فقام الشيخ و نقطه بدينار على خده .

و ادعاهم أن سماع هذه الأشياء يدعو إلى الآخرة فوق الكذب و ليس العجب منهم إنما العجب من جهال ينفقون عليهم فيفقون عليهم .

و لقد كان جماعة من القدماء يورن أوائل الصوفية يتعبدون و يتورعون فيعجبهم حالهم و هم معذورون في إعجابهم بهم .

و إن كان أكثر القوم في تعبدهم على غير الجادة كما ذكرت في كتابي المسمى بتلبيس إبليس .

فأما اليوم فقد برح الخفاء أحدهم يتردد إلى الظلمة و يأكل أموالهم و يصافحهم بقميص ليس فيه طراز و هذا هو التصوف فحسب .

أو لا يستحي من الله من زهد في رفيع الأثواب لأجل الخلاق لا لأجل الحق .

و لا يزهد في مطعم و لا شبهة فالبعد عن هؤلاء لازم .

و ينبغي للمنفرد لطاعة الله تعالى عن الخلق ألا يخرج إلى سوق جهده فإن خرج ضرورة غض بصره و ألا يزور صاحب منصب و لا يلقاه فإن إضطر دارى الأمر .

و لا يخالط عاميا إلا لضرورة مع التحرز و لايفتح على نفسه باب التزوج بل يقنع بامرأة فيها دين .

فقد قال الشاعر : .

(و المرء ما دام ذا عين يقلبها ... في أعين العين موقوف على الخطر) .

(يسر مقلته ما ضر مهجته ... لا مرحبا بسرور عاد بالضرر) .

فإن كان يغلب عليه العلم انفراد بدراسته و احترز من الأتباع المتعلمين و إن غلبت عليه العبادة زاد في إحترازه و ليجعل خلوته أنيسه و النظر في سير السلف جليسه .

و ليكن له وظيفة من زيارة قبور الصالحين و الخلوة بها .

و لا ينبغي أن يفوته ورد قيام الليل و ليكن بعد النصف الأول فليطل مهما قدر فإنه زمان بعيد المثل .

و ليمثل رحيله عن قرب ليقصر أمله و ليتزود في الطريق على قدر طول السفر .

نسأل الله أن يعينه على ما فيه الخير و يوفقنا للإلتفات عنه إنه قريب مجيب